الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجـامعي عبد الحفيظ بوالصوف ـ ميلة
معهد الآداب واللـغات **قسم اللغة والأدب العربي**
المستوى: سنة أولى ليسانس **المادة: نقد أدبي قديم 2. أعمال موجهة**
أستاذة المادة: د/ سمية الهادي

أعمال موجهة : قضية الوضوح و الغموض

تناولنا في المحاضرة الموسومة بـ: " قضية الوضوح والغموض" مفهوم الوضوح وكذا مفهوم الغموض. وتوقفنا عند خاصية الوضوح التي ميّزت الشعر الجاهلي، فأوّل ما يلاحظ على معانيه أنها معانٍ واضحة بسيطة ليس فيها تكلّف ولا بُعْد ولا إغراق في الخيال سواء حين يتحدث عن أحاسيسه أو حين يصور ماحوله في الطبيعة، فهو لا يعرف الغلوّ ولا المغالاة، ولا المبالغة التي قد تخرج به عن الحدود المعتدلة".

ثم جاء العصر العباسي وبرزت الشكوى من صعوبة أو غموض أو إبهام بعض شعر تلك المرحلة. وكان سبب ذلك أن "أشياء استجدّت في العصر العباسي فأصابت بعض شعر شعرائه، وخصوصا أبا تمام بالغموض، ومن هذه الأشياء الفكر والثقافة. وسنحاول في هذا الدرس التطبيقي أن نقدم آراءً أخرى توضح تصور النقاد القدامى لهذه القضية.

اتفق النقاد على أن الوضوح هو أن يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد، وذلك شرط أساسي للكلام البليغ المؤثر، لأنه بوضوحه يستطيع أن يصل إلى القلب في سرعة وسهولة. أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع،1996، دط، ص 472

ويتفق الكثير من نقاد الأدب العربي قديما بضرورة تحرّي الوضوح والحرص على تقديم المعاني بشكل يسهُلُ على السامع والمتلقي بشكل عام فهمَهُ. من ذلك ما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين من كلام بشر بن المعتمر حين مرَّ بإبراهيم بن حَيَلَةَ وهو يعلِّم فتيانهم الخطابة حيث قال: " وكن في ثلاث منازل فإنّ أولى الثلاث: أن يكون لفظُك رشيقا عذبا وفخمًا سهلاً ويكون معناكَ ظاهرًا مكشوفًا وقريبا معروفا" البيان والتبيين ج1 ص90

ويكون الكلام واضحا إذا كون من مفردات دقيقة في معناها، ثم ركب بعضها بجوار بعض تركيبا ترضى عنه قواعد النحو رضا كاملا، ولم يشتد اتصال بعضه ببعض اشتدادا وثيقا، ولم يطل الفصل بين أركان جمله، بأن ينأى الخبر عن المبتدأ مثلا، وجواب الشرط عن فعله، أو أن تكثر قيود الفعل قبل أن يأتي فاعله، فإذا فقد شرط من ذلك خفي المعنى. ولم يتضح

المراد بالكلام، واتسمت العبارة بالتعقيد والمعاظلة. أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع،1996، دط، ص 472

وقد عاب النقاد قديما قول أبي تمام:

والمجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المعاشر منك إلا بالرضا

لشدة اتصال الكلام بعضه ببعض اتصالا حال دون وضوحه.

وكذلك عابوا قول المتنبي:

كيف ترثى التي ترى كل جفن رآها غير جفنها غير راق

وعلّل صاحب اليتيمة " الثعالبي " ذلك بأن مثل هذا الكلام إذا قرع السمع، لم يصل إلى القلب، إلا بعد إتعاب الفكر، وكد الخاطر، والحمل على القريحة، وإن ظفر بعد العناء و المشقة فقلما يحصل على طائل. أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع،1996، دط، ص 472

وينبغي التفريق بين وضوح المعنى الذي جعله النقاد شرطا من الشروط الأولى لجودة الأسلوب، وبين ما قالوه من أن المعنى إذا وصل إليه المرء بعد الطلب والبحث، واستعان على إدراكه بالتفكير الهادىء، كان ذلك ألذ وأشهى إلى نفس القارىء. أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،1996، دط، ص 473

فعبد القاهر الجرجاني يفرّق بين الغموض المحمود وبين التعقيد، فالشعر الجيد في نظره هو ما تميَّز بنوع من الغموض ينجلي بعد التأمل وطلب المعاني وإعمال الفكر. "ومن المركوز في الطبع أنَّ الشيء إذا نيلَ بعد الطلب له أو الإشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف" عبد القاهر أسرار البلاغة ص106

أما التعقيد المذموم فهو ما أتعب الذهن والفكر من دون فائدة "لأجل أن اللفظ لم يُرَتَّبْ الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض، حتى احتاج السامع إلى أن يطلب المعنى بالحيلة." عبد القاهر أسرار البلاغة ص109

وقد بين الآمدي في كتابه " الموازنة " الفرق بين الشعر الذي ينشد الوضوح ويعتمد على الإبانة وانكشاف المعاني، و الشعر الذي يطلب التعقيد وبعد المعنى، وتجسدت المقارنة في موازنته بين البحتري و أبي تمام، فمن يفضل البحتري ينسب إليه " حلاوة اللفظ، وحسن التخلص، ووضع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقرب المأتى، وانكشاف المعاني "، ومن يميل إلى أبي تمام فذلك مردّه " إلى غموض المعاني ودقّتها، وكثرة ما يورده مما يحتاج

إلى استنباط و شرح واستخراج، وهؤلاء أهل المعاني، و الشعراء أصحاب الصنعة، ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام" الآمدي: الموازنة ص 4.

وقد ذكر حازم القرطاجني أوجه الغموض وأسبابه فمنها ما يرجع إلى المعاني أنفسها، ومنها مايرجع إلى الألفاظ والعبارات المدلول بها على المعنى ومنها ما يرجع إلى المعاني والألفاظ معا" حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص172

ويتفق معظم النقاد القدامى في أن وضوح المعاني هو السبيل الأمثل لوصولها إلى المتلقي، وبيَّنُوا أن الوضوح لا يتنافَى مع الخيال والتصوير واستخدام الإشارة والرمز. فالوضوح لايعني السطحية أبدا وإنما الأمر مرده إلى الطريقة التي تُقدَّم بها هذه الإشارات والرموز والإستعارات.